

وكلمهم أيضا بأمثال

٣



الغنى الغبى



القس

لوقا سيداروس

كنيسة مارجرس باسبورتنج



١٥٨
وكلمهم أيضا بأمثال

٣

الغنى الغبى

القس
لوقا سيداروس

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

قداية البانا شنوده الثالث



قداسة البابا شنودة الثالث

الغنى الغبى (لو ١٢: ١٦-٢١)

« وضرب لهم مثلاً قائلاً إنسان غنى أخصبت كورته ففكر في نفسه قائلاً ماذا أعمل لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال أعمل هذا أهدم مخازنى وابنى اعظم واجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى وأقول لنفسى يانفسى لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلى واشربى وافرحى . فقال له الله ياغبى هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمن تكون ... هكذا الذى يكتز لنفسه وليس هو غنياً لله » .

لقد ضرب الرب يسوع هذا المثل على أثر مجيء أحدهم إلى السيد قائلاً قل لأخى أن يقاسمنى الميراث فقال له يا انسان من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً . وقال لهم انظروا وتحفظوا من الطمع فانه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله ثم ضرب لهم هذا المثل .

قل لأخى أن يقاسمنى الميراث :

هذه قضية كل جيل وكأنها جزء من تكوين الانسان وطبيعته البشرية الساقطة ... كم من نزعات وعداوات صارت بين الناس بسبب هذا الموضوع ... كم انهى حياة أناس وكم انتهى بالأخوة .

إلى المحاكم ... كم أفسد قلوب وحطم المحبة بين الأشقاء ... إذن ما هو السر وراء كل هذا؟! لقد كشفه الرب لتلاميذه وللذين حوله قائلاً « انظروا وتحرزوا من الطمع » (لو ١٢: ١٥) إن الطبيعة البشرية الساقطة ليس فيها شيء من الصلاح ... فكأنما هذا الطمع غريزي في تكوين البشر ... قد تجده في طفل رضيع ... الطبيعة طماعه تؤثر الأخذ على العطاء ... تفرح بالأخذ وتجزع من الخسارة ... تحب الأثرة والامتلاك وهي حينما تفعل ذلك تكون الذات والأنا وراء كل هذه الأفعال .

لأن الذات البشرية تتضخم في كثرة الممتلكات وتتحصن وراءها بالمنفعة الذاتية تعلق كل شيء في طبيعة البشر حتى لو كان على حساب الأخ أو القريب أو الصديق ، والطبيعة تفعل كل شيء لأجل الربح والاستحواز حتى ولو على رقاب الناس ومصالح أقرب الأقربين . الذات تتفاخر بكثرة الماديات ، والطبيعة البشرية تعز المقتدرين وتمتلق الأغنياء كنوع من تأليه الذات ، وهكذا وقف هذا الانسان أمام المسيح بذاته المجروحه من جراء الطمع والاحساس بالظلم لأنه لم يقاسمه أخوه الميراث .

المسيح له المجد لم يأت مصلحاً اجتماعياً ولا قاضياً على مستوى الأمور المادية ... حاشا ... المسيح لم يأت ليجعل رقعة

جديدة في ثياب الطبيعة البشرية البالية لقد جاء ليخلص ويجدد ويعتق .

منهج المسيحية هو انكار الذات وجحد المشيئة ... كأن كان منظر الطبيعة البشرية كما ذكرنا هكذا كئيباً ومكروها فان المسيح المبارك جاء لكي يعطي طبيعة جديدة « إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة » (٢ كو ٥: ١٧) .

وأما النعمة التي سكبها الرب بروحه في انساننا الباطن . أى طبيعتنا الجديدة ... فهي من فوق نازلة من عند أبى الأنوار . لذلك فان النعمة والطبيعة يقفان على طرفي نقيض لأنهما يصدران عن مصدرين مختلفين تماماً .

فحركات النعمة نازلة من فوق — أى أنها سماوية بينما حركات الطبيعة تنشأ من أسفل من الذات البشرية الساقطة . الطبيعة طماعه أما النعمة فانها سخية ترتاح في العطاء اكثر من الأخذ بل تفرح بالعطاء .

النعمة تقنع بالنصيب الأصغر ولا ترتاح في التعزيبات الخارجية لأن مصدر عزاءها هو الله وحده وفيه تستريح . النعمة تزدري بالأمور الزمنية وما كان لها ربحاً محسوباً في العالم

تحسبه خسارة. الطبيعة تطلب لتمجيد الذات بينما النعمة ترجع كل شيء إلى الله مصدر كل عطية صالحة .

إذن يمكننا أن ندرك وصية الرب يسوع « انظروا وتحفظوا من الطمع » (لو ١٢: ١٥) .

إن كنا نحاز للذات ونسلك بحسب الانسان الخارج ومشية الجسد فسنسقط حتماً في فخ الطمع وعلّة الدينونة ولكن إن كنا بالروح نमित أعمال الجسد ونخضع نفوسنا للنعمة التي يؤتي بها إلينا يسوع المسيح فاننا نتمتع ببركات الخلاص وعمل الله فينا .

الطبيعة تجذبنا إلى العالم بينما النعمة ترفعنا إلى الله . ولكن لينظر كل واحد منا إلى نفسه فانه كما أن النعمة تتوسل إلى أشر الخطاة لتستهويهم بطرقها كذلك الطبيعة تحاول أن تجذب إليها أكبر القديسين لتعزيهم بشهواتها .

فطريق الجهاد إذن يحفظنا بالنعمة من السقوط في الطمع ومحبة النصيب الاكبر الذي قد يجرمنا من ميراثنا الابدي .

(المثل)

انسان غنى أخصبت كورته ...

أن رائحة الذات البغيضة تفوح من أول كلمات المثل . وقد اختفى الله تماماً من سيرة هذا الانسان الغنى ... فالخصب الذي أصاب كورته منسوب إلى ذاته وإلى قدراته وراجع في النهاية إلى ذاته ولذاته وامتعته. وعضو أن يقدم الشكر لله مصدر العسى واله كل عطية صالحة وعضو أن يقدم باكورة كورته إلى الله ليشتم الله رائحة سروره وعضو أن يفكر في الأرملة واليتيم والمسكين فيشعر أن الله أعطاه ليعطى ويدخل السرور إلى آخرين وعضو أن يفرق ويعطى ويقتنى له برأفكر أن يخزن ويحبس الخير عن أهله ، وعضواً عن أن يتأمل إنه إن كانت أزمته للشبع فهناك سنوات للجوع ... وعضو عن أن يتفكر في الله الذي ينمى والذي يثمر ... عضو كل هذا فكر في نفسه وفي تمجيد الذات وخزين الخيرات .

ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري .

لقد ضاقت مخازنه عن وفرة الثمر والخير الذي أصاب في هذه السنة وأراد أن يوسع المخازن لتجمع فيها الخيرات .

ومن عجيب الأمر أن هناك بعد آخر غير منظور ولكنه مدرك
للسالكين بالروح فكلما انتفخت الذات بكثرة الخيرات انحصر
الانسان في الأنانية وتفوقعت نفسه في الضيق ودخل إلى مخاليء
الكآبة وصغر النفس. وعلى العكس كلما بذل الانسان وسكب
ذاته وافتقر وفرغت مخازنه الأرضية اتسع قلبه ليسر الآخرين ودخل
الانسان إلى دائرة النور والفرح .

عندما كسرت المرأة قارورة الطيب كثير الثمن وأفرغتها عن
آخرها على رأس الرب يسوع وهو متكئ ... كان يبدو
حسب الظاهر أنها افتقرت وخسرت وسكبت وكانت بحسب
أعين الناظرين أنها أضاعت وأتلفت ولكن حسب فكر المسيح
حفظته وخزنته لحياة أبدية واقتنت وكسبت لها صيتاً فاخراً. وحينما
يكرز بالانجيل في المسكونة كلها يذكر ما فعلته هذه المرأة تذكراً
لها .

على هذا القياس بدأ الرجل يخزن ويكنز ، ويوسع دائرة
الذات وينني مخازن أكبر وأوسع ... وهو في نظر الروح كان
يضمحل ويتضاءل وينزوى .

لقد ظن هذا المسكين أنه في خصب كورته خصب لذاته
ونمو لكيانه، وظن أن الغنى الخارجى هو كل شيء !! ومن أسف

أن هذا الفكر كثيراً ما ينمو فينا ويظهر بيننا وقد غاب عنا منظر
ربنا « فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر
وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨: ٩) . وغاب عنا أن
الرسل الأطهار أرسلهم الرب فقراء من كل شيء من كيس ومزود
وأحذية وثوبين حتى عصا الطريق .

وقد غاب عنا أيضاً أن الرب اختار فقراء هذا العالم اغنياء في
الايان وورثة الملكوت ...

وغاب عنا أيضاً قول الرسول « أوصى الأغنياء في الدهر
الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل
على الله الحي » (١ تي ٦: ١٧) وما قاله أيضاً « وأما الذين
يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ » (١ تي ٦: ٩) .

لقد عاش أباؤنا القديسون كفقراء ولكنهم أغنوا كثيرين . لقد
استغنوا بفقير المسيح والآن صاروا أغنى من العالم بأسره ...

إن القديس بطرس الرسول لم يكن له فضة ولا ذهب ولكن
الذى لى اياك اعطيه باسم يسوع المسيح قم « فوقف الرجل
الأعرج الذى كان له اكثر من اربعين سنة » .

ليس الغنى اذن فى كثرة المقتنيات وليس امراً من أمور هذا
العالم الزائل .

لقد خدع هذا الرجل الغنى المسكين بمنظر الخيرات الزمنية
وأغرتة أباطيل كاذبة ... هذا الغنى المتمثل في خصب الكورة
كزه العشب يزول كما يقول الرسول « لأن الشمس أشرفت بالحر
فبيست العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره هكذا يذبل الغنى
أيضاً في طرقه » (يع ١: ١١) ؛ كذلك راجع (ار ٤٨: ٣٦) .

أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها :

هل علمت أيها الانسان الباطن ماذا تفعل ؟ تأمل طيور
السماء انها لا تحصد ولا تجمع في مخازن وابوك السماوى يقيتها ...
كما أنكم أفضل من عصافير كثيرة؟ فلا تهتموا ... لأن أباكم يعرف
ما تحتاجون إليه ...

ليس هذا ما يشغل بالنا في كثير من الأحيان ... نذهب إلى
تلك المدينة وهناك نقضى سنه نتجر ونربح ... عوض أن تقولوا
إن شاء الرب وعشنا نفعل كذا ...

الرسول لم يمنع الانسان من العمل أو التجارة أو الربح ...
كلا ولكنه ينيه ذهن الانسان الذى يرسم للمستقبل ويخطط
للأيام والسنين وقد نسى ما هو انه بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل ،
ولكنه اسقط الله من حساباته وقدم مشيئة نفسه ولم يطلب مشيئة
الله أما أولاد الله فانهم يدركون ذلك تماماً ويمارسونه في حياتهم

عاملين أنهم موضوعون لهذا . فان الله هو العامل فينا ان نريد وأن
نعمل من أجل المسرة ... ولذا يقولون في نهاية الأيام « أنا مجدت
اسمك على الأرض ... العمل الذى اعطيتنى لاعمل قد اكملته »
(يو ١٧: ٤) أنهم لم يعيشوا لذواتهم بل للذى أحبهم ومات عنهم
وهم يتفرغون لتنفيذ ارادته ويسرون بها .

وفي المقابل هناك مخازن أخرى تجذب انتباه السالكين
بالروح . إنها المخازن السمائية حيث يكثرزون خيراتهم « لأنه
حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » (مت ٦: ٢١)
هناك حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب السارقون
ويسرقون .

أما هذا الغنى المسكين فقد حبس قلبه في مخازنه الأرضية
حيث السوس والصدأ وحيث ينهب السارقون .

قال الرب هاتوا العشور إلى الخزانة وجربونى ... أجمع وأضع في
خزانة الرب ستفتح كوى السماوات وتوسعك بركات وعطايا
روحية حتى تقول كفانا كفانا كفانا .

تأمل المرأة الارملة الفقيرة عندما ألفت الفلسين في خزانة
الهيكل ... ألفت كل ما لها . كل معيشتها . لقد خزنت لنفسها
نصيياً صالحاً إلى أبد الدهور .

أقول لنفسى يانفسى لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين
كثيرة :

من أعلمك أيها الجاهل انها سنين كثيرة. أن من ينظر إلى
المستقبل هكذا يكون كمن يتكل على رصيد وهمى ...
بالأسف عندما يقع الانسان فريسة تسويق العمر باطلا
ويطمئن للعالم والزمن الخادع !!

ألست تعلم أن ذلك اليوم وتلك الساعة قد اختفيت عن
عيوننا لنسهر ونستعد كل يوم وكل ساعة .

أليس مكتوباً أن أهل العالم حينما يقولون سلام وأمان يفاجئهم
هلاك بغتة كالخاض للحبل فلا ينجون ... أليس مكتوب أن يوم
الرب سيأتي كلص في الليل ...

ألم ينبه الرب ذهننا أن اسهروا وصلوا لانكم لا تعرفون اليوم ولا
الساعة .

ألم يقل انه ربما يأتي مساء أم نصف الليل أم صباح الديك ام
صباحاً. وقال ما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا لئلا يأتي فيجدكم
نياماً. أما ذلك الغنى فقد اطمأن أن له سنين كثيرة .

ربما نظر إلى صحة جسده وانه في مقتبل العمل... ولم يعلم

قول الرسول ما هي حياتكم انها بخار يظهر قليلاً ثم
يضمحل ...

ألم يعبر قول يعقوب أب الآباء عن أيام سنى غربته أنها قليلة
رغم طول مدتها .

انها غشاوة يضعها عدو الخير على العين فلا تبصر ولا تدرك
في حين أن الانسان في هذه الحالة يثق في نفسه انه حكيم
ومتبصر بالأمر وهو بائس مسكين واعمى وعريان .

لقد افترض أن الخيرات باقية لسنين كثيرة وانه هو باق أيضاً
لسنين كثيرة ونسى فساد وزوال خيرات العالم ... ألم تذهب
ثروات أيوب كلها في لحظة من الزمان !!

كم من اغنياء تبددت ثرواتهم كغيوم الصيف ... وملوك
وأباطره دارت عليهم الدوائر فافتقروا إلى كسرة خبز .

ما هذا الخداع الرهيب ... خيرات وفيرة لسنين كثيرة !!؟
انها باطل الأباطيل كما قال سليمان الحكيم وقبض الريح ليس جيد
أن يتكل الانسان على هذا الوهم الواهى ... طوفى لمن إله
يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه . أما أن يبقى هو سنين كثيرة
فقد سمع من فم الرب هذه الكلمات المخيفة ... ياغبى الليلة
تطلب نفسك منك .

فلا هي سنين كثيرة ولا حتى أياماً قليلة ... كانت الليلة التي يتكلم فيها بينه وبين نفسه كانت هي نهائية .

استريحى وكلى واشربى وافرحى :

هذه هي غايته في وجوده في هذا العالم ... كمثّل الحيوانات غير الناطقة أو كما قيل عن أهل العالم الذين جعلوا منهمجهم لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت .

انه يعيش لهذا الهدف التافه الترابى راحة الجسد وأكل وشرب وفرح زائل ... ما أصدق قول الرسول « من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فساداً » (غل ٦: ٨) .

استريحى :

هل توجد راحة حقيقية في ارض جهاد وتعب ومشقة ؟ ان أفخر أيام الأرض تعب وبلية والانسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعب ... إذن كيف يستريح الانسان ؟ قال الرب منادياً تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا اريحكم . في المسيح وحده راحة التعابى حيث يلقي الانسان كل خطاياہ وآلامه وتعبه على حمل الله حامل خطية العالم .

لقد ظن هذا الغنى أن يرتاح متكلاً على خيراته ومستنداً إلى

غناه مرفها نفسه بالبر والارجوان والثياب الناعمة ... وقد قال الرب عن مثل هذا الغنى « مات الغنى ودفن ورفع نظره وإذا هو معذب في الجحيم !؟ » أين الراحة الوهمية التي تمنّاها وخدع قلبه بها ... لقد تبخرت .

قال النبي في القديم « قوموا وانطلقوا فليست هذه هي الراحة » قال أحدهم « يانفسى استريحى دائماً في الرب فوق كل شىء لأنه هو راحة القديسين الابدية . هبنى يا يسوع العذب والمحبوب جداً أن استريح فيك فوق كل خليقة .. فوق كل عافية وجمال .. فوق كل مجد وكرامة .. فوق كل اقتدار .. فوق كل علم وحداقة .. فوق كل غنى وصناعه .. فوق كل فرح وبهجة .. فوق كل رجاء وموعد .. فوق كل استحقاق ورغبة .. فوق كل المواهب والعطايا التي تستطيع أن تمنحها وتفيضها .. فوق كل سرور وتهلل يمكن العقل أن يدركه ويشعر به .. وأخيراً فوق الملائكة ورؤساء الملائكة .. فوق جميع ما يرى وما لا يرى .. فوق كل ما ليس هو اياك يا ألهى .

كلى واشربى وافرحى !!

الم يقل الكتاب « اهتمهم بطونهم » ... الذين يفتكرون في الارضيات . أما الملكوت فهو ليس أكل وشرب بل بر وسلام وفرح

في الروح القدس . لانه إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا
ننقص .

لقد صارت سيرتنا في السماويات ، وصرنا نطلب بالحاح في
الصلاة خبزنا الذي للغد ... خبزنا الآتي نطلبه كل يوم . صار
المسيح نفسه هو أكلنا وشربنا وفرحنا وسلامنا بل وصار لنا الكل
في الكل .

هكذا الذي يكتنز لنفسه وليس هو غنياً لله :

أخيراً بعد أن ضرب الرب هذا المثل ختم أقواله الآلهية بهذه
الكلمات المفعمة بالحكمة الآلهية لينبه ذهننا لكي نستفيق من
غفلتنا ولكي تنكشف الأمور امام ناظرينا هذا هو مصير من
يكتنز لنفسه ، وهذه هي النهاية للذين يعيشون لذواتهم .

وقد فرق الرب بهذه الكلمات بين نوعين من الاغنياء فمنهم
من هو غنى لنفسه ومنهم من هو غنى لله والفرق بين الاثنين حسر
خطير فأما من هو غنى لله فهو غنى في اعمال صالحة ، سخي
في العطاء كريم في التوزيع ، غير متكمل على الغنى غير اليقين بل
على الله الحي .

قلبه ثابت .. كنزه في السماء .. يفتخر باتضاعه كل هذه
الصفات الانجيلية والفضائل الروحية يعيشها ويتمتع بها غير ناظر

إلى نفسه بل مزيناً باعمال الرحمة التي قال عنها الرب « أريد رحمة
لا ذبيحة » مثل هذا الغنى لله سوف يسمع كلمات الرب في
النهاية « كنت أميناً في القليل (على الارض) فاقيمك على الكثير
(في السماء) » .

أي شكر نستطيع أن نقدم لله الذي فتح بصيرتنا لنتحقق
زوال غنى العالم وكل مجده بل واعطانا بصيرة لنرى الغنى المذخر
لنا في ميراثنا فننقل سيرتنا وكنزنا إلى فوق حيث المسيح جالس .
واعطانا وصيته المقدسة لنسهر ونصح لابسين درع الايمان حتى
لا يفاجئنا ذلك اليوم بغتة كمتوانين بل ننتظر ونتوقع ظهوره
واستعلان ملكوته .

له المجد في كنيسته إلى ابد الدهر ... آمين .

من مطبوعات القس لوقا سيداروس

- ١ - محاربات روحية الجزء الأول
- ٢ - محاربات روحية الجزء الثاني
- ٣ - محاربات روحية الجزء الثالث
- ٤ - محاربات روحية الجزء الرابع
- ٥ - تفاسير اناجيل الأحاد
- ٦ - تأملات في سفر أشعيا الجزء الأول
- ٧ - تأملات في سفر أشعيا الجزء الثاني
- ٨ - تأملات في سفر أشعيا الجزء الثالث
- ٩ - تأملات في سفر أشعيا الجزء الرابع (تحت الطبع)
- ١٠ - تأملات في عيد الصليب

ظهر حديثاً من هذه السلسلة :

- ١ - قاضي الظلم
- ٢ - الابن الضال
- ٣ - الغنى الغيبي
- ٤ - الفريسي والعشار
- ٥ - مثل الزارع
- ٦ - المتكأ الأخير

تطلب من :

مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج

